المشرق

ميمر في عيد ختانة الربّ

منسوب الى القديس كيرلّس رئيس اساقفة اورشليم

تمهيد

تقيم الكنيسة الكاثوليكية في غرّة العام الجديد عيدًا حافلًا لتذكار ختانة السيّد المسيح فتعدُّهُ من اشرف مواسمها السنويّة وما ذلك الّا لأن ابن الله دخل يوم ختانته رسميًّا في شعب اسرائيل المختار وفيه استحقّ بسفكِ دمهُ الزكي لاوّل مرّة ذلك الاسم العجيب اسم يسوع اي المخلص والفادي الذي « امامهُ تجثو كلُّ ركبةٍ مما في السماوات وعلى الارض وفي الجحيم» (فيلبي ٢ : ١٠)

ففي هذا العيد كانت الكنيسة اليونانيّة تتلو على مسامع المؤمنين ميمرًا لأحد الآباء القديمين وجدناهُ مرتّبًا في نسختين من مجموعات مواعظهم السنويّة في مكتبتنا الشرقيّة. وهو يُنسب في الواحدة الى القديس كيرلّس رئيس اساقفة المدينة المقدّسة اورشليم. وفي الثانية الى سميّهِ القديس كيرلّس رئيس اساقفة الاسكندريّة. وقد بحثنا عن اصل هذا الميمر في مجموعة اعمال القديسين اليونانيّة لسيين فلم نجد لهُ اثرًا ولعلّهُ احد مآثرها المفقودة. وقد ورد هذا الاثر في مخطوطات المكتبة الوطنيّة في باريس في قسمها العربيّ (Paris, Mss 1516 et 2133) وكذلك في نسخة من مكتبة القس بولس سباط (Echos d'Orient, 1923, p. 328) منسوبًا ايضًا الى القديس كيرلّس الاسكندريّ. والله اعلم. وهو على كلّ حال اثر جليل لأيّ منهما كان يستحقُّ ان يخرج من زوايا النسيان لاسيما يوم موسمهِ العظيم ل. ش

(ص ٤٠٤) ميمر في الختان لابينا كيرللس رئيس اساقفة المدينة المقدّسة اورشليم قالهُ في ختانة ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح بالجسد

هـا نحن نبصر الجميعَ كثيرًا والـامع نشيطاً والكنيسة مملوءة . الّا انَّ المعلّم ليس بغنيٍ في المعرفة لكنَّ المعطي للانسان لسانًا وفمًا يرزقنا ايضاً معاني صالحة لانهُ قال بلسان النبيّ (المزمور ٨١ : ١١) : « افتح فاك فاملأهُ » . ولأنكم قد قدمتم اجمعين بنشاط الى هذا العيد السيدي فلنعيّد عيدًا بهيًّا بتسابيح زاهرة ولناخذ في تأمل الامور اللائقة بالاله المكرّمة اليوم ونخصّص لذواتنا حقيقة ذلك السرّ لنحفظ امانة الله ووديعتهُ

وذلك انّنا عاينّا منذ يسير طفلًا مضجعاً في مذود وهو عمّانوئيل رأيناهُ مقمّطاً ملفوفًا لفًا بشريًا ومسبّحاً تسبيحاً الهيًا من اجناد ملائكة قديسين وهم الذين بشّروا الرعاة بولادتهِ . واليوم نشاهدهُ مطيعاً سُنّة موسى متواضعاً لاوامر الناموس . ولذلك يعلّم بولس الرسول الكثير الحكمة قائلًا (غلاطية ٤ : ٣) : « انّنا لمّا كنّا اطفالًا كنّا مستعبدين تحت اسطقصّات العالم . فلمّا حان (ص ٤٠٥) كمال الازمان ارسل الله ابنهُ مولودًا من امرأة صائرًا تحت الناموس ليبتاع الذين تحت الناموس »

وهذا صار لاجل امرين : (احدهما) لكي يشتري باكمال الناموس الـذين هم تحت عقوبة معصية الناموس . والـذين لم يكونوا ايضاً يحفظونهُ فافتداهم من لعنة الناموس . (والآخر) لانهُ بطاعتهِ في كلّ الامور لوصايا الناموس وبخضوعهِ للشريعة شفى عصيان آدم كما قال الرسول ايضاً (رومية ٥ : ١٩) : « كما انَّ بمعصية انسان واحد صار الكثيرون خاطئين كذلك بطاعة واحد يصير الكثيرون صدّيقين » اي المؤمنين بالمسيح الاله (ص ٤٠٦)

فامّا ان الكتاب الالهيّ يذكر ختانة المسيح فذلك واضحٌ لا شكّ فيهِ وكفى بهِ تفنيدًا للـذين يجحدون باقي سياستهِ وحقيقة بشريّتهِ ويلتجئون الى الوهميّة في تجسّدهِ قائلين انهُ لم يأخذ بالحقيقة جسدًا بشريًا بل وُجد في شكل انسان ولم يكن انسانًا ملموساً بل خياليًا فالانجيل بذكرهِ ختانتهُ يُفحمهم . وكما انَّ دمهُ الطاهر مع الماء الذي خرج من جنبهِ في وقت الصليب بارك الارض التي سقط عليها فهكذا دمهُ يوم ختانتهِ قدّس الارض بما سفكهُ اذ ذاك منهُ على انهُ في يوم قيامتهِ قام بغير نقص في جسدهِ تامّ الخلقة

واما قول البشير انهُ دُعي يسوع الذي معناهُ خلاص الشعب فقد دعاهُ بهِ الملاك

قبل ان يُحبَل به في البطن. وقد تمَّ حبَل البتول به عند قولها : « ها انا أَمَة الرب فليكن لي كقولك ». فلما ولد لم يُطلق عليهِ ذاك الاسم حتى خُصَّ بهِ يوم ختانتهِ لانهُ في ذلكَ اليوم خضع لفرائض الناموس فتممها وصنع ذلك بتدبيره لانَّ بهِ كان يليق «ان يتمّ كلّ عدل» (متى ٣ : ١٥). ولاجل انهُ اخذ بالحقيقة صورة عبدٍ فلهذا السبب اكمل الواجبات عن الذين هم تحت نير العبودية. ولذلك تراهُ في بعض الاوقات يؤدّي الخراج للجباة (متى ١٧ : ٢٦). فاذا ما ابصرتهُ حافظاً للناموس فلا تشكك بل افتكر في عُمق التدبير. وكذلك جرى يوم ختانتهِ حيث دُعي يسوع اي خلاص الشعب لانَّ الله الآب لم يؤثر ان يُدعى ابنهُ خلاص الشعب يوم ولادتهِ بالجسد من العذراء لكنهُ دعاهُ بهِ في ختانتهِ ليكون خلاص الشعب بدمهِ وليس شعباً واحداً بل كلّ الشعوب حتى افراد كلّ أمة وجميع مَن تحت السماء.

فاذا كان امر الختانة هكذا يُكمَّل وبهِ تُقبَّل التسمية وتُتمَّم فرائض الناموس فلماذا لم نتسلَّم نحن سُنَّة الاختتان ؟ فما هو الرمز في هذا ؟ واي اسرار توضحها لنا ؟ واي معنى خفي يبيّن لنا قوَّة ذاك ؟

هاتِ الآن نفتش ونبصر ما كتبهُ بولس الرسول قال (غلاطية ٥ : ٦) : « انَّ الختانة ليست بشيء ولا الغُلفة » ولعلَّ احداً من المعارضين يقول : ان كان الاختتان ليس بشيء فلماذا امر بهِ إلهُ الكُلّ موسى النبيّ وحدَّ عقاباً على مخالفتهِ ؟ فأُجيب انَّ في ذلك سرّاً مكتوماً وذلك انَّ السيد المسيح قام في اليوم الثالث من الموتى ومنحنا الختان الذي بالروح لمَّا أوعز الى رسله القديسين قائلاً (متى ٢٨ : ١٩) : « انطلقوا الى العالم اجمع وتلمذوا كلّ الامم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. فمن آمن واعتمد يخلص ومن لم يؤمن ويعتمد يُدَنْ ».

فانظر هاهنا الى قوَّة السرّ ومجد المُعطي لنا مثل هذه المواهب لانَّ الذي امر بالختان في القديم بموسى هو ذاتهُ أتمَّهُ بنفسهِ ليكمّل ما أمر بهِ. والذي اوصى ان يكون الختان في اليوم الثامن هو ايضاً امر بالختان الروحي لمَّا ظهر لتلاميذه في اليوم الثامن بعد موتهِ. والذي حدَّ عقاباً على من يخالف شريعة موسى ولم يختتن هو نفسهُ حدَّ ايضاً عقاب الدينونة على من لا يعتمد. لانهُ انما اختتن ليكمّل الناموس العتيق ويُبطلهُ واعتمدَ ونهج لنا السبيل المؤدّية للخلاص بكرازة الانجيل وشرَّعَ بالناموس

الجديد وحقّقهُ كما يؤكد لنا ذلك يوحنّا الحبيب المتكلم باللاهوت قائلًا (١ : ١٦) : « أنّنا من امتلائهِ اخذنا كلُّنا نعمةً بدل نعمةٍ لانَّ الناموس بموسى أعطي والنعمة والحقّ بيسوع المسيح صارا » وكما انَّ يشوع بن نون الذي اذ جلس بعد موسى في البريّة ختَنَ الشعب بسكاكين من الصوّان (يشوع ٥ : ٢) كذلك نحن اذا عبرنا الاردنَ يختننا المسيح بقوّة الروح القدس ليس بقطع البشرة بل بمحو الدنس النفساني . ولذلك اختتن في اليوم الثامن بالجسد لنختتن نحن بالروح بواسطة المعموديّة المقدّسة

فيا لهذا التدبير العظيم العجيب او يا لغنى حكمة الربّ ومعرفتهِ السابقة ! . انَّ الذي هو في حضن الله مساوٍ لهُ في الكرامة الابن المشارك لهُ في الازليّة والرتبة يقدّم ذاتهُ للختان كاحد العبيد مطيعاً ومسلّماً للرسوم الظلّية لكي بهِ وبذاتهِ يقدّسنا لله الآب ويحلّ هكذا اللعنة الصائرة لنا بواسطة المخالفة الجدّيّة وينشلنا من وهدة العصيان الى الاستنارة بالنعمة الجليلة التي تُنال بالامانة الحقيقيّة . وكان الله الآب سبق وبشّر بانبيائهِ القديسين عن ظهور ابنهِ الوحيد لكي يخلّص الضالّين ويُنير المظلمين كما ورد على لسان احد الانبياء قائلًا (اشعيا ٥٦ : ١) : سيقرب سريعاً عدلي وتنكشف رحمتي . فامّا خلاصي فيتجلّى كمصباح » فعدلُ المسيح هو الذي بهِ رُحنا وتزكّينا واغتسلنا من وسخ الاثم بالامانة اي بايماننا بهِ . وكما انَّ المصباح يتقدّم امام الذين يسيرون في الليل والظلام هكذا صار المسيح نفسُهُ ضياءً ونوراً للذين كانوا في الظلمة العقليّة ووضع لهُ اللاهوتُ استنارةً وحكمةً . ولذلك تضرّع الانبياء السعداء ليصيروا شركاء لمثل هذه النعمة قائلين (المزمور ٨٤ : ٨) : « أرِنا يا رب رحمتك وأعطِنا خلاصك »

فهذا الذي كان الانبياء يشتهون ان يروهُ قد ظهر في آخر الازمان وصار نوراً للضالّين في الظلمة وحكمةً وخلاصاً للواقعين تحت نير المحال الذين كانوا عابدين الخليقة دون خالقها وساجدين ايضاً لرئيس الشرّ التنّين اللعين لكنهم دُعوا من الله الآب الى معرفة الابن الذي هو الضياء الحقيقي . لانَّ الله قد خلّص ما تحت السماء بواسطة الابن من اجل انهُ صار مثلنا كما كتب بولس الكثير الحكمة قائلًا (١ طيموتاوس ٢ : ٥-٦) : « إلهاً واحداً متوسّطاً بين الله والناس يسوع المسيح الذي بذل نفسهُ فداءً عنّا والمحدر طوعاً من اجل ضعفنا لكي نُضحي اغنياء بفقرهِ » . وقال ايضاً في موضع آخر (افسس ٢ : ١٣) : « انتم الذين كنتم قديماً بعيدين قد صرتم الآن قريبين

بدم المسيح » وقال ايضاً « اني ازيدهم باسم الرب الههم وباسمه يتفاخرون » . وبهذا يعلم الزبور (٨٨ : ١٦) قائلاً وهو يناجي مخلّص الكل : « يا رب بضيائك يسلكون وباسمك يبتهجون طول النهار وبعدلك يشتغلون وذلك لانك انت فخر قوتهم » وقال ايضاً على لسان اشعيا النبي : « اني اعلّمهم ويتكاثرون والذين في البُعد يذكرونني » وتجد النبي ارميا صارخاً ايضاً الى الله وقائلاً : « انت يا رب قوّتي وموئلتي وملجأي في يوم حزني . اليك تأتي الامم من اقطار الارض ويقولون باطلاً اتخذ آباؤنا الاصنام التي ليست فيها منفعة » فقد نهض كثيرون واقبلوا الى الايمان وارتقوا من العبادة الناموسيّة الى الروحيّة وعوض روح الضلالة الذي كان فيهم اضحوا شركاء الطبيعة الالهيّة وأهلوا لموضع النبوّة راجين اقتناء المدينة العالية اعني مُلك السماء بتعطّف الاهنا وفادينا يسوع المسيح الذي له ولابيه والروح قدسه المجد والتسبيح الآن والى الابد آمين

آفات السيول وطرق علاجها

للاب رفائيل نخله اليسوعي

لغتنا العربيّة الجميلة حافلةٌ بالاستعارات المأخوذة عن السيول ، ومنها يُستدَلّ على ان العرب اختبروا اضرارها الجمّة فأطلقوا التعابير المختصّة بها على غيرها من الشرور والآفات الكبرى . نكتفي بهذا المقام بذكر الشيء اليسير من تلك المجازات المستحسَنة المأنوسة حتى في ايامنا . أما اعتادت الجرائد مثلاً التكلّم عن « الاجحاف بالحقوق » في المقالات التي تكشف بها جور الحكّام وتبسط ظلامات الرعايا ؟ والحال ان لفظة « اجحاف » وُضعت في الاصل اللغوي للدلالة على اضرار السيل بجانبَي مسيله وإتلافه التدريجي لهما . ويؤيد ذلك المعنى التعبيرُ الجاري نعني « السيل الجُحاف » او مجرّد لفظة « جحاف » وهي مرادفة للسيل

هكذا ايضاً نرى العرب الاقدمين بل العصريين يشبّهون الحروب والاوبئة والمجاعات وما جرى مجراها في ازهاق الوف الارواح « بالسيل الجارف » . وانهُ ليخيّل